



موقف فير أبند النقدي من فلسفة العلم

د . عبدالسلام احمد مولود ابوحميده

كلية الآداب الجميل - جامعة صبراتة

abd.alsalam0314@gmail.com

:

الملخص

إن النظرية الفوضوية المعرفية والتي شكلت حجر الأساس لفلسفة فير أبند تقوم على فكرة أنه ليس هناك شيء يسمى المنهج العلمي ، حيث يصف هؤلاء العلماء بالانتهازيين المنهجيين الذين يمكنهم استخدام أي موجات تأتي إلى أيديهم ، حتى وإن انتهكوا قوانين المنهجية التجريبية ، ويرى أن الميثودولوجيا القائمة لم يتوصل أي منها إلى ضرب من الطوباوية ، ولذلك تعتبر وجهة نظر " أبند " حول منهجيته في العلم جزئية ، وهذا ما جعله يعتلي مصاف فلاسفة العلم في القرن العشرين ، وأراد أن يقدم مفاهيم جديدة مختلفة عن " بوبر " و " كون " ، وعن جميع العقلانيين بعدم وجود منهج مميز لبحث علمي ، إذ أن جميع المناهج تفشل في تزويدنا بالخطوط الموجهة التي يمكن بها أن تفيد المشتغلين بالعلم في قيادة وإرساء نشاطهم أو فاعليتهم ، و " أبند يعتبر العلم بأنه أحد الأعمال الفوضوية الضرورية ، ويصف التاريخ بصورة عامة وبصفة خاصة بأنه عادة ما يكون أكثر ثراء في محتواه وأكثر تباينا ، وهو متعدد الجوانب ويمثل ثباتا عما يمكن أن يتخيله أفضل مؤرخ وأفضل باحث منهجي ، فالتاريخ مليء بالأحداث الغريبة المتزامنة ، وهذا يوضح لنا تعقيد التغير الإنساني ، وهذه الخاصية غير قابلة للتوقع بالنتائج النهائية لأي عمل أو قرار يتخذه الإنسان .

Abstract;

The cognitive anarchist theory, which formed the cornerstone of Feyerabend's philosophy, is based on the idea that there is no such thing as a scientific method. These scientists are described as methodological opportunists who can use any waves that come their way, even if they violate the laws of experimental methodology.

He believes that none of the existing methodologies have achieved any form of utopia, and therefore Feyerabend's view of his methodology in science is partial. This is what elevated him to the ranks of philosophers of science in the twentieth century. He wanted to present new concepts different from Popper and Kuhn, and from all rationalists, by denying the existence of a distinctive method for scientific research. All methodologies fail to provide us with guiding lines that can help those engaged in science to lead and establish their activity or effectiveness. Feyerabend considers science to be one of the necessary anarchic activities and describes history in general, and especially, as usually richer in content and more diverse. It is multifaceted and represents a stability beyond what the best historian and the best





methodological researcher can imagine. History is full of strange simultaneous events, which illustrates the complexity of human change. This characteristic makes it impossible to predict the final outcomes of any action or decision made by humans

نشر الورقة: 2026-09-02

قبول الورقة: 2026-08-18

استلام الورقة: 2026-07-26

المقدمة .

يتسأل " أبند " هل يمكن لنا أن نعتقد بالفعل أن القواعد البسيطة التي يتخذها المنهجيون لإرشادهم وتوجيههم قادرة على تفسير مثل هذا التعقيد والتشابك للتفاعلات .

تعتبر التجربة المنطقية من أهم تيارات فلسفة العلم في القرن العشرين ، فقد قدمت المشكلات الأساسية التي ينبغي على فلسفة العلم أن تلعبها ، بالمناهج الملائمة لها ، والاهداف التي ترمي إلى الوصول إليها ، وكانت مبادئها من القوة والوضوح بحيث أثرت على كل من يدرس فلسفة العلوم ، وبالرغم من ظهور اتجاهات جديدة قدمت مفاهيم مختلفة لفلسفة العلم التي كانت عند التجريبية المنطقية ، إلا أن هذه الاتجاهات تعتبر إلى حد كبير ناقدة لتلك التجربة ، أو بمعنى أدق تعتبر ثورة عليها وقد وجدنا أن مفهوم التجريبية المنطقية يقوم على تقديم تحليل منطقي للغة العلم وقضاياها ، وفلسفة العلم تتشابه مع المنطق من خلال اهتمامها بالعلاقات المنطقية بين القضايا العلمية ، بالإضافة إلى الصورة المنطقية ، أي دراسة العلاقات المنطقية بين الأنساق الموجودة في المحتوى الفكري لأي نظرية علمية ، وبالتالي ليس من شأن فلسفة العلوم دراسة تطور العلم .

لذا يتركز هذا البحث حول فلسفة فير أبند النقدية والتي يدحض فيها المنهج العلمي ويصف العلماء بالانتهازيين العلميين ، حيث شكلت النظرية الفوضوية المعرفية حجر الأساس لفلسفته النقدية والتي مفادها انه ليس هناك شيء يسمى بالمنهج العلمي ، أما مشكلة البحث فيمكن صياغتها في التساؤلات الآتية :

س1/ هل المناهج العلمية فاشلة في تزويدنا بالخطوط الموجهة التي يمكن أن يستفيد منها المشتغلون بالعلم ؟

س2/ هل العلم يقوم على أساس التجربة المنطقية ؟

س3/ هل العلم بدون تجربة أمر ممكن ؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في الحاجة الى فهم طبيعة فلسفة العلم النقدية وما تقدمه من أفكار جديدة لتطور العلم والنظريات العلمية وتعددية البرامج .

ويهدف ها البحث للإجابة على التساؤلات المطروحة حول فلسفة العلم والمناهج العلمية .

منهج البحث /

المنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج التحليلي لتحقيق الاهداف .



لقد لعب العلم دورا كبيرا في بدايات العصر الحديث ، وتجسد ذلك من خلال خروج أوروبا من فوضى تخلفها في العصور الوسطى إلى السيطرة على العالم وغزوه من كل النواحي سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وقد بلغ العلم ذروة التطور عندما طبقت نظرياته بشكل علمي على المستوى الصناعي فكانت بذلك الثورة الصناعية (1750 م) والتي استطاعت ولأول مرة أن تزيد الانتاج مما استلزم تصريفه ، فبدأ عصر الاستعمار الغربي الذي حمل ويلات الحروب بالإضافة إلى العلم ، إلا أنه ظهر من العلماء والمفكرين والفلاسفة ممن دافعوا عن تقاليد العالم الحر ، وفي نفس الوقت كانوا من المنتقدين لحضارة الغرب التي قامت على مبادئ العلم ، واقتصر بها الغربيون واعتبروا أنفسهم رواد العلم الوحيدين ، وكان من بين هؤلاء " فير أبند " حيث يعتبر من أبرز الذين قدموا قراءة جديدة لفلسفة العلم ، وهذه

القراءة قد أخذت الطابع الثوري على كل المناهج العلمية السابقة ، وخاصة تلك الاتجاهات التي برزت بعد الوضعية المنطقية ، ويعتبر " أبند " ناقدا للمنطقية النقدية لدى " كارل بوبر " ، ومن ثم ناقدا لفلسفة العلم ذاتها ، وخاصة تلك المحاولات المنطقية لاكتشاف أو إرساء قواعد المنهج العلمي ، كما قدم " أبند " محاولة للتفسير العلمي للخبرة (التجربة) ، وجادل فيها ضد الوضعية اعتمادا على الأسس المألوفة في وجهات نظر (بوبر) عن القابلية للتكذيب ، وحاول " أبند " بناء مذهب تجريبي متساهل ، ثم انتقل محور تركيزه إلى ازدواجية النظرية ، ووجهة النظر هذه هي أنه من أجل زيادة فرص تكذيب النظريات الموجودة إلى أقصى حد فإن العلماء يجب أن يبنوا ويدافعوا عن العديد من النظريات البديلة ما أمكن ذلك .

إن النظرية الفوضوية المعرفية والتي شكلت حجر الأساس لفلسفته تقوم على فكرة أنه ليس هناك شيء يسمى المنهج العلمي ، حيث يصف هؤلاء العلماء بالانتهازيين المنهجيين الذين يمكنهم استخدام أي موجات تأتي إلى أيديهم ، حتى وإن انتهكوا قوانين المنهجية التجريبية ، ويرى أن الميثودولوجيا القائمة لم يتوصل أي منها إلى ضرب من الطوباوية ، ولذلك تعتبر وجهة نظر " أبند " حول منهجيته في العلم جزئية ، وهذا ما جعله يعتلي مصاف فلاسفة العلم في القرن العشرين ، وأراد أن يقدم مفاهيم جديدة مختلفة عن " بوبر " و " كون " ، وعن جميع العقلانيين بعدم وجود منهج مميز لبحث علمي ، إذ أن جميع المناهج تفشل في تزويدنا بالخطوط الموجهة التي يمكن بها أن تفيد المشتغلين بالعلم في قيادة وإرساء نشاطهم أو

فاعليتهم ، و " أبند " يعتبر العلم بأنه أحد الأعمال الفوضوية الضرورية ، ويصف التاريخ بصورة عامة وبصفة خاصة بأنه عادة ما يكون أكثر ثراء في محتواه وأكثر تباينا ، وهو متعدد الجوانب ويمثل ثباتا عما يمكن أن يتخيله أفضل مؤرخ وأفضل باحث منهجي ، فالتاريخ مليء بالأحداث الغريبة المتزامنة ، وهذا يوضح لنا تعقيد التغير الإنساني ، وهذه الخاصية غير قابلة للتوقع بالنتائج النهائية لأي عمل أو قرار يتخذه الإنسان .

من هذا المنطلق يتساءل " أبند " هل يمكن لنا أن نعتقد بالفعل أن القواعد البسيطة التي يتخذها المنهجيون لإرشادهم وتوجيههم قادرة على تفسير مثل هذا التعقيد والتشابك للتفاعلات ؟

تعتبر التجربة المنطقية من أهم تيارات فلسفة العلم في القرن العشرين ، فقد قدمت المشكلات الأساسية التي ينبغي على فلسفة العلم أن تلجها ، بالمناهج الملائمة لها ، والاهداف التي ترمي إلى الوصول إليها ، وكانت مبادئها من القوة والوضوح بحيث أثرت على كل



من يدرس فلسفة العلوم ، وبالرغم من ظهور اتجاهات جديدة قدمت مفاهيم مختلفة لفلسفة العلم التي كانت عند التجريبية المنطقية ، إلا أن هذه الاتجاهات تعتبر إلى حد كبير ناقدة لتلك التجربة ، أو بمعنى أدق تعتبر ثورة عليها وقد وجدنا أن مفهوم التجريبية المنطقية يقوم على تقديم تحليل منطقي للغة العلم وقضاياها ، وفلسفة العلم تتشابه مع المنطق من خلال اهتمامها بالعلاقات المنطقية بين القضايا العلمية ، بالإضافة إلى الصورة المنطقية ، أي دراسة العلاقات المنطقية بين الأنساق الموجودة في المحتوى الفكري لأي نظرية علمية ، وبالتالي ليس من شأن فلسفة العلوم دراسة تطور العلم .

وقد رأى " هيربرت فيجل " بقوله : ليست أصول المعرفة ولا التطورات السيكلوجية مشكلات الموضوع الحقيقي لنظرية المعرفة ، بل الأمر الرئيسي يقوم في البناء المنطقي والدقة التجريبية (1) . هيربرت فيجل : " التجربة المنطقية " في كتاب فلسفة القرن العشرين ص 16 .

ونجد بالتالي أن فلسفة العلم مع هذه المدرسة لا تهتم بدراسة الطريقة العقلية التي يفكر بها العالم حيث ممارسته للعلم ، فالمنطق علم قبلي ، ودراسته للتفكير إنما هي دراسة للطريقة التي ينبغي أن يفكر بها العالم . هنا تقع فجوة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ، وقد حاولت التجريبية المنطقية أن تميز بين موضوع دراسة فلسفة العلوم وبين موضوع دراسة العلوم الإنسانية التي تدرس العلم ، ويمكن استعراض نماذج آراء بعض المناطق التجريبية والفلاسفة مثل " ريشنباخ " و " هيمبل " و " نايجل " و " جون ستويرات " كمدخل لآراء " أبند " وأفكاره عن النظرية العلمية .

لقد ميز " ريشنباخ " بين سياق الكشف (Context of Discovery) وبين سياق التبرير (Context of Justification) ، وبالتالي يشير سياق الكشف إلى الظروف الاجتماعية والنفسية التي ينشأ منها اكتشاف الفروض الجديدة وهو متروك لعلوم النفس والاجتماع ، وأما عن التبرير فيشير إلى الأسس المنطقية التي تبرر الاعتقاد في صحة تلك الفروض وهو موضوع فلسفة العلم ، ولهذا يقول : إن الاستمولوجية لا تدرس العمليات الصحيحة والحقيقية للتفكير ، بل تدرس بديلاً منطقياً عنها . (2) . Reichenbach (H) p : 5 . وبالتالي لا تستطيع فلسفة العلم إعادة بناء سياق الكشف وذلك بحكم طبيعته المجهولة ولا يقبل إعادة البناء على أسس منطقية ، فمهمتها تقتصر على سياق التبرير . ومن هنا انطلق أصحاب التجريبية المنطقية لتحليل بنية العلم على أساس يعرف بالأساس الاستنباطي ، ويعرض لنا " هيمبل " نموذجاً من التفسير الاستنباطي ، والذي يشكل نتيجة القضية المفسرة " هـ " ومقدماتها القضايا المفسرة المؤلفة من القوانين العامة (ق 1 ، ق 2 ، ق 3) التي تقدم تقديرات عن وقائع معينة ، وإن صورة مثل هذه البراهين المؤسسة على هذا النحو تمثل نموذجاً من التفسير العلمي ويمكن أن يعبر على الشكل التالي :

(ق 1 ق 2 ق ن)

(ص 1 ص 2 ص ك) قضايا مفسرة هـ

يطلق على البيانات التفسيرية من هذا النوع اسم التفسيرات بواسطة التضمن الاستنباطي تحت قوانين عامة ، أو التفسيرات الاستنباطية وفق نواميس . (3) كارل هيمبل : فلسفة العلوم الطبيعية . ص : 77 ، 78 .



بمعنى أن (ق1+ ق2+ ق ن) تمثل القوانين العامة و(ص1+ ص2+ ص ك) تمثل عبارات الوقائع والاحداث وتؤلف تلك القضايا بالإجماع مقدمات المفسرات Explains وتشير العبارة (هـ) إلى وصف الظاهرة المراد تفسيرها، ويضيف "هيمبل" الشروط الأساسية للتفسيرات الاستنباطية والتي تخضع للقوانين ومنها أن تكون الحجة الاستنباطية صحيحة وتتضمن قانون واحد على الأقل، وأن تكون جمل المفسرات صادقة مما يترتب عليه صدق المفسر "هـ". (4). نفسه. ص: 78، 79.

وكما لاحظنا أن التجربة المنطقية لم تتعرف أبداً إلى طبيعة تقدم العلم، حيث نجد أن كثيراً من النظريات التي نادت بها التجربة المنطقية مثل التأييد ومفهوم الاستقراء وقابلية التحقيق والتمييز بين الحدود النظرية وحدود الملاحظة، قد طرحت بقوة طبيعة العلاقات بين النظريات المتعاقبة، وهذه العلاقة هي في الأساس علاقة رد Reduction بين القديم والجديد.

قدم الفيلسوف "نايجل" تصوراً متسقاً لتقدم العلم يقوم على أسس ومبادئ التجريبية المنطقية، وهذا الطرح الذي قدمه "نايجل" أثار مشكلات أساسية ضمن فلسفة العلم الأمر الذي أدى في النهاية إلى طرح إشكالية تقدم العلم، وطرح "نايجل" نظريته في الرد والتي تنقسم إلى رد متجانس Homogeneous ورد غير متجانس Inhomogeneous ويقوم النوعين من الرد على أساس أن تقدم العلم يعني احتواء النظريات الجديدة للنظريات القديمة، فالرد المتجانس تشترك فيه النظريتان في نفس المفاهيم والحدود، وبالتالي فإن النظرية التي تم ردها لا تظهر فيها أية حدود تتجاوز النظرية المردود إليها، هذا يعني أن هناك تأسيس علاقات استنباطية بين هذه المجموعات التي تستخدم مفاهيم التجانس (5). Nagel(Ernest)1961, p : 339.

جوهر العلاقة يقوم في إمكان استنباط جملة من النظريات أو القوانين لأي علم من العلوم على أساس نظرية تتسم بطابع الشمولية وتنتمي إلى نفس العلم، وهذه القوانين التي قمنا بإرجاعها أو ردها تسمى بالعلم الثانوي Secondary Science والنظرية التي تم الرد إليها تسمى العلم الأولي Primary Science. "إن العلاقة بين هذين العلمين أو النظامين هي علاقة قابلية الاستنباط، والهدف الرئيسي من الرد هو أن قوانين العلم الثانوي تمثل نتائج منطقية لافتراضات العلم الأولي (6) ماهر عبد القادر: فلسفة العلوم المشكلات المعرفية. ص: 96.

وبالتالي يتم هنا توسيع إحدى النظريات العلمية بحيث تشمل ظواهر جيدة، ويطرح "نايجل" مثالا على ذلك من خلال العلاقة بين قوانين "جاليليو" ونظرية "نيوتن" فقد عبر "جاليليو" في كتاباته عن طبيعة فيزياء الأجسام الأرضية التي تسقط سقوطاً حراً، أي قانون السرعة عند "جاليليو" والذي يقوم على الأساس التالي (س = ع × ن) أي أن الجسم يسقط بسرعة تتزايد بانقضاء الزمن منذ بدأ يسقط، وهذا يعني أن الأجسام تسقط بعجلة، أي تغير بالسرعة وهي عجلة ثابتة، لكن "نيوتن" عندما تأكد من أن نظريته العامة في الميكانيكا والجاذبية تستلزم قوانين "جاليليو" بوصفها نتيجة لها فقد تم دمج الأخيرة داخل نظرية "نيوتن" باعتبارها حالة خاصة منها. (7). ألبرت أينشتاين: جاليليو حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ص: 52.

أي بمعنى أن "جاليليو" والمنسوب إليه إنشاء هذا العلم قد تم رد نظامه وهو متجانس وفق قاعدة "نايجل" مع موضوعات العلم الآخر، بالإضافة إلى الاشتراك في نفس الحدود وهذا يعني أن هذا الرد المتجانس لا يؤثر أية مشكلات خاصة، بينما الرد الغير متجانس يحدث عندما يتم استيعاب بحث له خصائص متميزة داخل علم آخر لا يمكن أن يتسم بتلك الخصائص، أي بمعنى أن معاني



الحدود الوصفية الابتدائية في العلم الثانوي لا تتأثر بعملية الرد إلى معاني الحدود الوصفية الابتدائية في العلم الأولي ، أي عدم قابلية الاشتقاق (8) . Nagel(Ernest) p : 533 .

لكن " نايجل " أدرك أن عملية الرد هذه تتطلب معرفة تامة بمضمون العلوم والنظريات في مرحلة محدودة من تاريخ تطورها ، أي بمعنى ضرورة البحث التاريخي الصحيح بالنسبة للنظرية في الرد ، أما " أبند " فإنه يشير إلى فشل هذه النظريات العلمية في تعبيرها عما يحدث في داخل العلم ، ويرفض " أبند " هذا النوع من النظريات على اعتبار أن التفسير النظري وفق آراء هؤلاء يتمثل في أن نظرية ما جديدة ، تصبح كذلك فقط لأنها جاءت بجديد في عالم المعرفة العلمية ، وغنما الجديد يكون في المعاني المستخدمة داخل النظرية (9) ماهر عبد القادر: فلسفة العلوم المشكلات المعرفية . سابق . ص 79 .

وهذا ما يعارضه " أبند " ، وبالتالي فإن موقف " أبند " يقوم على فكرتين :

1 — أن التأثير الشامل للنظرية العلمية يبدو أعمق مما يتصوره أصحاب الاتجاهات الكلاسيكية ، وبالتالي فالنظرية العلمية تعد بمثابة طرفا في النظر إلى العالم ، وهي تؤثر في تصرفاتنا وسلوكنا .

2 . أن نظرياتنا قابلة للاختبار ، وإن هذه النظريات ترفض حين يتضح أن الاختبار لا يتضمن النتيجة التي تنبأ بها .

ويقول " أبند " : أنه لا يوجد هناك ما يثبت شروط القابلية للاشتقاق بالنسبة لحالة الرد بين قانون " جاليليو " وقانون " نيوتن " ، فقانون " جاليليو " يجعل العجلة الرأسية للأجسام الساقطة ثابتة عند أي فترة فاصلة قرب سطح الأرض ، لكن في قانون " نيوتن " نجد أن قوة الجاذبية مؤثرة ، وبالتالي فإن العجلة المشتركة بالنسبة لجسمين تتزايد بتناقص المسافة ، ولذلك لا نستطيع اشتقاق قانون " جاليليو " من " نيوتن " ، فمن المستحيل لأسباب كمية أن نؤسس علاقة استنباطية بين (ن) و (ن) بل ومن المستحيل حتى أن نجعل (ن) و (ن) منسجمتين (10) : Feyrabend p : 47 .

ويرى " أبند " أن فكرة الرد بمجملها تقوم على افتراض أن معنى الحدود العلمية لا يتغير داخل النظريات المختلفة أي أن المعنى لا يتغير ، فقد ذكر " نايجل " أن الحدود المشتركة بين العلمين لها نفس المعنى سواء تم ردها أم لا . لكن هذا الكلام يعارضه " أبند " وقد أوضح أن معنى الحدود العلمية يتغير مع اختلاف النظريات ، ويذهب " أبند " إلى فكرة رئيسية مفادها إمكانية قيام العلم بدون تجربة ، تلك النقطة شكلت حجر الأساس في الفكر الإستمولوجي عنده ، فمن المعلوم أنه من بين الخصائص الهامة للعلم هي عموميته وشموله ، وأي قضية يمكن مهاجمتها بطريقة علمية . وهنا يطرح " أبند السؤال التالي : هل الفرض التجريبي هو فرض صحيح أم لا ؟ . وهل تعتبر التجربة مصدر وأساس حقيقي للمعرفة ؟ .

يجيب " أبند " : بأن العلم بدون تجربة أمرا ممكنا ، ويرى أن التجربة قد دخلت العلم في ثلاث نقاط وهي : الاختبار واستيعاب نتائج الاختبار ومن ثم النظريات ، إذ ربما يتضمن الاختبار آلية معقدة وفروض مساعدة مجردة بصورة كبيرة ، وإن كانت نتيجته النهائية يجب التعرف عليها بواسطة الملاحظ (المشاهد) الإنساني ، كما أن تبادل نتائج الاختبار يتضمن أيضا الحواس إذ نسمع ما يقوله لنا شخص ما ، ونقرأ ما يكتبه ، وأخيرا فإن مبادئ النظرية المجردة مثل نظم الأغاني بدون أن يكون لها علاقة بالعالم الخارجي ، ولا نعرف كيف تم ربطها بالتجربة ، وهذا يتطلب حواس بسيطة ومحددة . (11) . Feyrabend p : 791 .



يطرح " أبند المثال التالي : يمكن أن ندخل نظرية ما في الكمبيوتر ، ونزوده بالأدوات والوسائل الملائمة التي يقوم الفرد بتوجيهها ، لذلك فإن القياسات ذات الصلة والتي تم عملها بواسطة الكمبيوتر تؤدي إلى تقييم النظرية ، حيث يستطيع

الكمبيوتر إعطاء إجابة بسيطة بنعم أو لا ، والتي من خلالها يعرف العالم إذا كانت النظرية قد تم إثباتها من عدمها بدون

إخضاعها لبعض التجارب ذات الصلة وبدون مشاركتها الاختبار (12) . Ibid , p : 792 .

لكن ما يقوله الكمبيوتر يعني ما عرفه عن حدث بسيط عن العالم الكبير ، ومن المعتاد أن تنتقل مثل هذه المعلومات عن طريق الحواس ، وإن كان دائما ليس هو الحال ، بل يؤدي الإدراك دون الوعي إلى ردود فعل مباشرة ، وبدون بيانات حسية ويؤدي التعلم الكامن أو المستتر إلى ترك آثار في الذاكرة بدون بيانات حسية ، ثم ينتقل " أبند " إلى الاعتبار القائل بفهم النظريات ويقول : يمكن لنا أن نطبقها من خلال معرفتنا كيفية ارتباطها بالتجربة ، ويجب أن نوضح أن التجربة تتواجد مع الفروض النظرية وليس قبلها ، وبإزالة جزء من المعرفة النظرية للشخص الذي يشعر ويحس ، سيكون لدينا حينئذ ذلك الشخص الغير قادر على أداء أبسط الأعمال ، وبإزالة المعرفة الإضافية فإن عالمه الحسي (لغة الملاحظة) سوف تبدأ في التفكيك ، وحتى أن الألوان والحواس الأخرى البسيطة سوف تختفي (13) . Ibid , p : 793 – 794 .

إن مواصلة البحث بهذه الطريقة يعني ترك قيود المذهب التجريبي والانتقال إلى على ضرورة اختبار نظريتنا ، وهذا دليل كاف للتعامل مع التجربة كشرط لتحقيق واضح ، وتارة يرى أنه يمكن فهم العلوم وتفسيرها بدون الرجوع إلى التجربة ، وهذا تناقض واضح ، فإذا كان " أبند " يطمح للبدء بملاحظة خالصة ثم يعمم نتائجها وبذلك يصل إلى النظرية العلمية دون أن يكون في ذهن أي شيء من صميم طبيعة النظرية ، فهذه الفكرة مستحيلة فالعالم لا يلاحظ فحسب ، فالملاحظة نوعية من الفلسفة أكثر شمولاً وأكثر إقناعاً ، بالإضافة إلى أن " أبند " تارة يؤكد

دائماً منتقاة ، وتوجيهها مشكلة مختارة من موضوع ما ويمكن لنا أن نشير إلى مسألة هامة حول فكر " أبند " من خلال تفسير أفكاره في ضوء المبادئ التي أرساها " جون ستيوارت " فمن خلال المقال الذي قدمه " جون " عن الحرية فإنه يؤكد على أهمية المناقشة النقدية والمفتوحة بالنسبة لحيوية وتقدم الجوانب المختلفة للحياة الإنسانية ، والتي تشتمل على إتباع المعرفة العلمية ، كما ورأى " أبند " أن العديد من العبارات من الأفضل تفسيرها على أنها محاولات للعب أدوار معينة وخاصة دور المدافع عن رأي الأقلية الغير شائعة ، ومن الضروري تحقيق الشروط التي وصفها " جون " للتبادل المنطقي والتطور الإنساني المثالي .

ويحدد " أبند " بصورة منظمة فروضه عن الأهمية المحورية لتزايد وجهات النظر والمناهج بالنسبة لبحث " جون ستيوارت " عن الحرية وعند إدخال أفكار " جون " في مناقشته الموسعة فإن " أبند " يؤكد على وجهة نظر " جون " ويقرها والتي تقول " بأن التعددية

من المفترض أن تؤدي إلى الصدق " (14) : p : 67 Feyereabend

أي بمعنى أنها تمثل الطريق الوحيد للوصول إلى قرار مفيد بالإضافة إلى أن تكون ملمين بمدى واسع من النظريات والأفكار البديلة ، وأعتقد أن لجوء " أبند " إلى وجهات نظر " جون " هو في الحقيقة إقرار وإجازة بأهميتها ، ومن ثم لم يكن بعيداً عن فرض أو مكانة " جون " وقد استخدمها بصورة متكررة في براهينه المستهدفة ضد وجهات النظر الأخرى .



لا شك أن القضايا العامة حول تعددية المناهج ووجهات النظر تكون مرتبطة بصورة وثيقة بفلسفة العلم اليوم ، وخاصة أن فلاسفة العلم يعملون اليوم خلال إطار

(سياق) يشتمل على الرفض الفلسفي الواسع النطاق لأي مذهب جوهرى خالص سواء تجريبي أو حسي مع قبول بعض المذاهب المحددة ، وهي دليل الفشل المتكرر " أبند " لرأي " جون " في أن عملية التغير العلمي عندما تحدث خلال سياق مفضل من تعددية وجهات النظر والمناهج هو أحد الطرق التي تؤدي إلى الصدق ، ويكتب " جون " بأن الشر الخاص بالصمت في التعبير عن الرأي هو ما يمثل سرقة الجنس البشري ، و إذا كان الرأي صائبا فإن المجموعة تكون قد حرمت من فرصة تبادل الخطأ من أجل الصدق ، وإذا كان الرأي خاطئا فإنهم يفتقدوا فائدة عظيمة متمثلة في الإدراك الواضح للصدق والناتج من تصادمه مع الخطأ (15) : Mill.S(J) Essays On Politics, p : 229

ويفترض " جون " في سبيل حرية التعبير عن الرأي أربعة أسس وهي :

1. إذا تم إلغاء حرية الرأي وإجبارها على الصمت ، فهنا سنكون غير قادرين على معرفة ما إذا كان هذا الرأي رأيا صحيحا .
 2. — إن عملية إسكات هذا الرأي ، والذي قد نعتبره يمثل خطأ ربما يحتوي على جزءا من الصدق ، وبينما يكون أحيانا الرأي العام أو الشائع عن أي موضوع ليس صادقا بشكل مطلق ، فمن خلال التصادم مع الآراء المضادة له يفسح المجال لبقية الصدق بفرصة للظهور .
 3. — إذا كان الرأي الذي تم إدراكه ليس رأيا صحيحا فحسب ، ولكنه يمثل الصدق كله ولم يتم مناقشته وتفنيده بجد ، فإنه سوف يتم التمسك به بطريقة يشوبها التحيز مع الفهم القليل لأسسه المنطقية أو الشعور به .
 4. — إن معنى تلك الآراء التي طرحت سوف تكون معرضة لخطر الضياع ، وتجريدها من تأثيرها الفعال على الشخصية والسلوك ، وتصبح بذلك مجرد مهنة صورية عاجزة عن تحقيق النفع ، وهذا ما سيمنع نمو أي اقتناع حقيقي وجوهري من خلال العقل أو من خلال الخبرة والتجربة الشخصية (16) جون ستيورات مل : عن الحرية ص : 30 .
- ولنوضح الآن هذه الأسس ونبدأها بالأول وهو الذي تحاول السلطة قمعه وكبته ، ربما يكون رأيا صحيحا ، وهؤلاء الذين يرغبون في قمعه وكبته هم بالتأكيد ينكرون صدق مثل هذا الرأي ولكنهم ليسوا معصومين من الخطأ ، كما أن رفضهم الاستماع إلى رأي ما لأنهم متأكدين أن هذا الرأي خاطئ ، ما يعني أن افتراض أن يقينهم هو يقين مطلق ، وهذا الأمر عند " جون " له تأثير على تقليل فرصة الإنسانية جمعاء في الوصول إلى الصدق .

أما الثاني فإن جوهر الصدق في آراء الأقلية يجب الحفاظ عليه لصالح أي شخص وهذا يمثل أمرا شيقا ، ويكون الوضع هو وجود مذاهب متناقضة بدلا من وجود مذهب صحيح وآخر زائف يشتركان في الصدق فيما بينهم .

وحول الفرضين الثالث والرابع فهما أكثر دقة ومهارة ، إذ يصر على أنه حتى وإن كان الرأي الذي أمكن الحصول عليه صحيح ، فإنه يحتاج من هؤلاء الذين يعتنقونه . من أجل مصلحتهم . أن يدافعوا عنه بقوة ، ومع عدم وجود مناقشة معارضة لوجهة النظر هذه فإن



الناس ربما يؤمنوا بالصدق (الحقيقة) ولكنهم لن يؤمنوا به بطريقة معقولة (مبررة) ، وهذا ببساطة ما يعني التحيز ، ويفترض " جون " أنه بدون

وجود آراء متناقضة فإن الناس لا يمكنهم أن يفهموا بالفعل معاني معتقداتهم وتعتمد هذه الفروض على رؤيته لطبيعة وعمل القرار الإنساني .

يقول " جون " : إن الأخطاء البشرية التي يمكن اصلاحها وهي صفة للعقل البشري والذي هو مصدر أي شيء يمكن احترامه في الإنسان سواء باعتباره كائن مفكر أو ككائن أخلاقي (17) . Ibid , p : 231

ان معالجة وتصحيح الأخطاء يجب أن تتم من خلال المناقشة والخبرة (التجربة) وليس بواسطة الخبرة فقط ، أي بمعنى وجود مناقشة لتوضيح الكيفية التي يتم بها تفسير الخبرة ، وهنا تتدرج تلك الآراء الخاطئة لفحصها بصورة تدريجية للحقيقة والبرهان ، ولكن يجب استحضار هذه البراهين قبل أن تحدث أي تأثير على العقل ، بالإضافة إلى أن هناك عدد قليل من الحقائق قادرة على أن تروي قصتها بدون تعليق على إظهار وتقديم معانيها وتعتمد قوة وقيمة القرار الإنساني على خاصية واحدة وهي أنه يمكن أن يصنع ويقرر الصدق عندما يكون مخطئاً . ويتضح لنا كيف تستمد هذه الخاصية من خلال الاستماع إلى الجميع في كل ما يمكن قوله عن الموضوع ، وذلك بواسطة أفراد ذوي خبرة وآراء متباينة ، ودراسة كل الطرق والوسائل التي من خلالها يستطيع العقل رؤية هذا الموضوع ، كما أنه ليس هناك إنسان حكيم يمكنه اكتساب حكمته بطريقة واحدة ، وتشكل وجهة النظر هذه القرار القائم على المعرفة والذي يشكل أساس النتيجة التي توصل إليها " جون " وهي أنه مهما كان الرأي صحيحاً فلن يكون كاملاً ولو تمت مناقشته بصورة متكررة

ومجردة من الخوف فسوف يتم الالتزام به باعتباره مبدأ معدوماً وليس كحقيقة حية وهذا يعني ضرورة التعامل مع فروض المنافسين من خلال طريقتهم المقبولة والمقنعة لكي يتحقق ذلك الجزء من الصدق الذي يزيل الصعوبات . وهذا هو الموضوع الذي يأتي إليه " أبند " محاولاً تفعيل وتجسيد وجهات نظر " جون " وذلك بتقديم إطاراً تفسيريًا قيمًا لأفعالنا الخاصة يؤدي إلى مناقشة منطقية كأساس للسلوك والرأي .

كتب " جون " قائلاً : إنني أعترف أنه ينبغي أن أحب رؤية معلمي الإنسانية الذين يحاولون تقديم البديل لتباين وتنوع الآراء ، بالإضافة إلى بعض الوسائل لحل صعوبات القضية كما هي موجودة بالنسبة لضمير المتعلم ، كما لو كانت قد تم فرضها عليه بواسطة بطل معارض أو مخالف ومتشوق لتحويله عن رأيه . (18) . Lloyd (Elisabeth) p : 402

ونرى أن " أبند " أحياناً ما ينسب لنفسه دور البطل هذا ويعمل على تفعيل رؤية " جون " للصورة الأكثر إنتاجاً للتبادل والتعدد ، وقد شرح " أبند " الدافع وراء طبيعة أيا من براهينه التي أوردتها والتي هي محاولات للاحتفاظ بالمفاهيم المتقنة الراسخة ، والتي تم انتقادها بواسطة توضيح يقوم على أن تفوق وجهة نظر ما يمكن التأكيد عليها فقط بعد أن تتيح البدائل فرصة توضح فيها أن عملية اكتساب المعرفة يجب الحفاظ عليها في حالة حركة . ومن وجهة نظري فإن لب المنهج العلمي عند " أبند " يقوم على تلك النقاط



المستمدة من فكر "جون"، والتي تقوم على أن الناس يجب أن يصنعوا الحياة بطريقة يختاروها بحرية تامة وهذا ما يؤهلهم أن يصبحوا أفضل حكام وحتى أفضل من أي خبير علمي .

خلاصة القول إن "أبند" أراد أن يؤكد على الأهمية التي ألقاها "جون" على المناقشة الناقدة والمفتوحة لحيوية وتقديم الجوانب المختلفة للحياة الإنسانية والتي تشمل على إتباع المعرفة العلمية ، بالإضافة إلى أنه كان لـ "لاكاتوس" الأثر الكبير في فكر "أبند" وخاصة عندما طرح "لاكاتوس" برامج البحث العلمي ، والتي تقوم على تعددية البرامج في عملية البحث كما أخذ من "كون" فكرة لاقياسية النظريات والتي تقوم على عدم ربط النظريات بين بعضها البعض ، فقد جمع "أبند" آرائه من عدة فلاسفة خاضوا مضمار البحث في فلسفة العلوم ولكنه اختلف معهم في بعض الأحيان فقد انطلق أبند في نظريته الفوضوية في المعرفة من نقده للمنهجيات والتي أطلق عليها مصطلحي النزعة الاستقرائية والنزعة التكوينية ، رافضاً بذلك الشمولية لأي قاعدة من القواعد المنهجية ، فكل المنهجيات لها حدودها والقاعدة التي يجب أن تبقى وتحيا هي (كل شيء يمضي) أي بمعنى أن كل شيء ينتهي ويأتي غيره بالإضافة إلى أن القواعد أياً كانت لا تأتي إلا من خلال الممارسة ، وهذا يدل على أن كل وضعية علمية واقعية تنمو بكيفية غير قابلة للتوقع ، لذلك فإنه من العبث أن نتمنى العثور على منهج يمكنه أن يدل العالم العقلاني في سياق معين فيما إذا كان عليه أن يقبل نظرية ما أو يرفضها ، ومن يحاول فرض تلك المنهجية يصفه "أبند" بالانتهازي المجرد من الأخلاق والمبادئ ، بالإضافة إلى أن تاريخ العلم لا يتكون فقط من الحقائق ، بل يحتوي أيضاً على الأفكار وعلى تفسيرات الحقائق وعلى المشكلات التي تحدثها التفسيرات الناقصة ومن خلال التحليل فإننا نجد أن العلم لا يعرف حقائق مجردة على الإطلاق ولكن الحقائق التي تدخل إلى معرفتنا يتم عرضها بطريقة معينة ونتيجة لذلك فإن هذه الحقائق تمثل لنا تصورات ضرورية .

قائمة المصادر والمراجع /

- 1 — هوبرت فيجل : " التجربة المنطقية " في كتاب فلسفة القرن العشرين — تحرير : رونز داجوبرت — ترجمة : عثمان نويه — القاهرة . مؤسسة سجل العرب . 1936 . ص 16 .
- 2 — Reichenbach (H) : Experience And Prediction An Analysis Of Foundations And The Structure Of Knowledge Of Chicago 1938 , p : 5
- 3 .كارل هيمبل : فلسفة العلوم الطبيعية . ت : جلال موسى . القاهرة . دار الكتاب العربي . 1976 . ص : 77 ، 78 .
- 4 . المرجع السابق . ص : 78 ، 79 .
- 5 — Nagel (Ernest) : The Structure Of Science, Problems In Logic Of Scientific Explanation, New York, 1961, p : 339 .
- 6 . ماهر عبدالقادر : فلسفة العلوم المشكلات المعرفية . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعية . 2000 . ص : 96 .
- 7 — ألبرت أينشتاين : جاليليو حوار حول النظامين الرئيسيين للكون النظام البطليموسي والنظام الكبرنيقي — ترجمة : محمد عبدالرؤوف القاهرة . الهيئة العامة للكتاب . 1991 . ص : 52 .



8 - Nagel(Ernest) : The Meaning Of Reduction The Natural Science In Reading In Philosophy Of Science , New Work , 1953 , p : 533 .

9 . ماهر عبدالقادر : فلسفة العلوم المشكلات المعرفية . سابق . ص 79 .

10 – Feyerabend : Explanation , Reduction And Empiricism , In Minnesota , Studies , In The Philosophy , Of Science , University Of Minnesota , 1962, p : 47 .

11 - Feyerabend : Science Without Experiencem University Of California , The Journal Of Philosophy , vol,66,1969 , p : 791 .

12 – Ibid , p : 792 .

13 - Ibid , p : 793 – 794 .

14 – Feyerabend : Realism Rationalism And Scientific Method , Philosophy Papers,vol ,1,Cambridge , 1981 , p : 67 .

15 – Mill.S(j) : Essays On Politics And Society,(ed) : J.m.Robson . University Of Taranto Press ,, 1859 , p : 229 .

16 . جون ستيورات مل : عن الحرية . ترجمة : عبدالكريم احمد . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 2000 . ص : 30 .

17 – Ibid , p : 231 .

18 – Lloyd (Elisabeth) : Feyerabend And Pluralism , Philosophy Of Science, Is Published By The University Of Chicago Press . 1997 , p : 402 .

